Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قصيدة المديح هذه ـ كما اصطلح على تسميتها ـ تأتى فى إطار أشمل هو ما يسمى (شعر المناسبة). وقد جرت العادة على النفور من هذا اللون من الشعر؛ والنيل منه وازدرائه؛ خاصة فى عهدنا الأخير. ولو أنصفنا قليلا، وانفرجت زاوية الرؤية والقبول لدينا، لأنقذنا من هذا التعسف شيئا ذا قدر وقيمة من شعرنا العربى جانبه الإنصاف.

والقارىء أو الدارس لشعر المتنبى بالذات، لابد أن يلاحظ أن الشعر لديه أداة للكشف عن الأبنية الجوهرية للحياة، ومن خلال ما يتراكم من تفصيلاتها وجزئياتها. وهو ينطلق من خلال قصيدة (المديح) أو (الرثاء) أو (الوصف) وما إلى ذلك من (أغراض شعرية) إلى آفاق وأبعاد تتخطى محدودية المناسبة والهدف. تاركا لذاته القلقة أن تغوص فى أعماق التجربة الإنسانية لتعود ظافره بالمعنى تلو المعنى. بوصفه ـ أى المعنى ـ نتيجة لعدد من الفعاليات المتعارضة والمتصارعة والمحتدمة؛ والذى يبصر به الشاعر متغلغلا فى نسيج الحياة، وممثلا لبعض قوانينها.

والمتنبى شاعر من شعراء الفكرة والمعنى.. ولعل أقرب شاعرين اليه هما: أبو تمام وابن الرومى. على أنه فاقهما ـ كما فاق شعراء العربية كلهم ـ بتلك الميزة. وهى اقتحام (عالم المعنى) بجرأة وشخصية متفردة. نتج عنهما رؤية وشعر متفرد. وليس صدفة أن يرثيه (المظفر الطبسى) حين عرف بمقتله بأبيات مشهورة جاء فيها:

مارأى الناس ثانىَ المتنبى
أى ثان يرى لبكر الزمانِ
كان من نفسه الكبيرة في جيش
وفى الكبرياء ذا سلطانِ
هو فى شعره نبىٌ؛ ولكن
ظهرت معجزاتُه فى المعانى